الهمز في القراءات العشر
بين الأصالة والمُعاصرة
دراسة صوتيّة في مواضع من سورة
"آل عِمْران"

"The Hamz" In The Ten Readings Between Authenticity

And Modernit A phonetic Study Of Some

Verses In Surat "Aal Imran"

بحث تقدَّم به

أ. د. محمد هادي محمد عبد الله

تخصص (لغة)

جامعة الفلّوجة - كُليَّة العلوم الإسلاميَّة - قسم اللغة العربية

Written by

Dr. Muhammed Hadi Muhammed Abdullah

Specialized (language)

University of Fallujah - college of Islamic Sciences

Arabic Language Department

dr.muhammed@uofallujah.edu.iq

المُلخَّص

عنوان البحث (الهمز في القراءات العشر بين الأصالة والمُعاصرة دراسة صوتيّة في مواضع من سورة «آل عِمْران»)، وقد قسّمْتُه على مطلبين تسبقهما مقدّمة وتمهيد، وتعقبها خاتمة ونتائج، ثم ثبتُ المصادر والمراجع، وكان التمهيد بعنوان (سورة «آل عِمْران» والهمز تعريف وتبيين)، وأمّا المطلب الأول فكان بعنوان (تحقيق الهمز)، وأمّا المطلب الثاني فكان بعنوان (تخفيف الهمز)، وكان منهجي وصفيًّا تحليليًّا موازنا، إذ عَقدْتُ موازنةً بين جهود القُدامى والمُحْدثين في بيئة الدرس اللغوي العربي في دراسة ظاهرة من ظواهر الاستعمال اللغويّ وعلاقتها بالقراءات القرآنيّة، من أجل استكناه الأسس العلمية التي ينطلق منها كل جهد في تحليلهما اللغوي، وفهم هذه الأسس بما يخدم لغتنا وفكرنا الثقافي من غير إفراط ولا تفريط.

كلمات مفتاحية:
(الهمز، البحث اللغوي الحديث، القراءات العشر، التوجيه الصوتي، آل عمران).

ABSTRACT:

This research is entitled: ("The Hamz" In The Ten Readings Between Authenticity And Modernit A phonetic Study Of Some Verses In Surat "Aal Imran"). I divided it into three sections preceded by an introduction, followed by a conclusion and results. Then a list of sources and references. First section was (Surat Al-Imran and the Hamz Definition and Clarification). Second was (verification of Hamz). Third was (Lightening of Hamz). My research methodology was descriptive and balanced analytical. A balance was held between the efforts of the ancients and the moderns in studying a phenomenon of linguistic use and its relationship to the performance of Quranic readings. In order to clarify the scientific bases from which every effort is launched in their linguistic analysis, and understanding these foundations serves our language and our cultural thought without exaggeration or negligence.

Keywords: (Hamz, Modern Linguistic Research, Ten Readings, Voice Guidance, Al Imran).

المقدّمة

دُرست اللغة العربيّة دراسةً واعيةً تدلُّ على عُمقٍ ودقّة وشمول، ولهذه الدراسة أسسها العلميّة ومبادؤها الفكريّة، ثم حدث التلاقح مع الغَربيّين طوعًا وكرهًا، فظهر درس لغويٌّ جديد له أسسه ومبادؤه أيضًا، وقد وافق بعض باحثينا هذا الدرس الحديث جملةً وتفصيلا، ورفضه بعضهم جملةً وتفصيلا، ومنهم مَنْ درسه بمعرفةٍ، فأبانَ محاسنه العلميّة، فجعلها أداة إثراء للدرس اللغويّ العربي، ثم كَشَفَ مساوئه الفكرية فحذّر منها[١]، ولاسيّما أنّ القاعدة العلمية تقول: (الحكم على الشّيء فرعٌ عن تصوّره)[٢]، فلا يُمكن أنْ أحكم على شيء بقبوله أو برفضه من غير سبر غوره.

ممّا تقدّم عَقدْتُ موازنةً بين القُدامى والمُحْدثين في دراسة الهمز في القراءات العشر في مواضع من سورة «آل عِمْران»، فكان عنوان البحث (الهمز في القراءات العشر بين الأصالة والمُعاصرة دراسة صوتية في مواضع من سورة «آل عِمْران»)، وقسّمْتُ البحث على مطلبين تسبقهما مقدّمة وتمهيد وتعقّبهما خاتمة ونتائج ثم ثبتُ المصادر والمراجع، وكان التمهيد بعنوان (سورة «آل عِمْران» والهمز تعريف وتبيين)، وأمّا المطلب الأول فكان بعنوان (تحقيق الهمز)، وأمّا المطلب الثاني فكان بعنوان (تخفيف الهمز)، وكان منهجي وصفيًّا تحليليًّا موازنا.

ومن المعلوم أنّ ظاهرة الهمز قد دُرستْ دراسات متنوّعة، لكنّني أردتُ في بحثي هذا مراجعة آراء هذا المنتج العلمي في هذه الظاهرة، ومعالجته عن طريق عيّنة محدّدة ومستوى لغوي صحيح، والوقوف على اختلاف العلماء فيه، والكشف عن علاقته بالتأصيل اللغوي لظاهرة الهمز، وموازنة كل ذلك بالدرس اللغوي العربي الحديث من أجل اكتمال الصورة العلمية للظاهرة ونضجها من جهة أنّ لكل درس من القديم والحديث منطلقاته وأسسَهُ العلميّة والفكريّة التي يسير على وفقها، فلعلّ في هذه المراجعات ما يفيد دراسة الظاهرة بنظرة علميّة جديدة فيها زيادة توضيح وكشف تصريح.

إنّ بحثي هذا ما هو إلّا جهد متواضع في سبيل اتّباع الرأي العلميّ الصحيح بما يتلاءم مع خصائص لغتنا العربية، ولا يُخالف أصولنا الفكريّة والعلميّة، فهو لبنة علميّة علّها تكون مفيدةً في

(١) من مظاهر هذا التنوع بحسب كل قسم ما نجده في مؤلفات الأساتيذ (د. رشيد العبيدي، ود. تمّام حسّان، والطيّب البكّوش، ود. عبد الصبور شاهين، ود. أحمد محمد قدّور، ود. حسام سعيد النعيمي، ود. غانم قدّوري الحمد).

(٢) ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمّد مصطفى الزحيلي: ١: ٣٦١.

خدمة لغة القرآن الكريم، فإنْ أكنْ قد وُفّقتُ فلله تعالى الفضل والمنّة، وإنْ تكن الأخرى فحسبي أنّني لمْ آلُ جهدًا في تتبّع جزيئات الموضوع وفِقَره، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد
سورة «آل عِمْران» والهمز تعريف وتبيين

«آل عِمْران» ثالثةُ سور القرآن الكريم ترتيبًا، وعدد آياتها (٢٠٠) آية، وهي مدنيّة[١]، وسُمّيتْ بـ(آل عِمْران) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ - آل عِمْران: ٣٣ -، ففُصّلَ فيها ذكْر اصطفاء «آل عِمْران» على نحو لم يوجد في سورة أخرى[٢]، و«عِمْران» - بكسر العين وسكون الميم - من صالحي بني إسرائيل في زمن نبيّ الله (زكريا) عليه السلام، واسمه (عِمْران بن ماثان)، وينتهي نسبه إلى نبيّ الله (سليمان بن داوود) عليهما السلام، وكان (عِمْران) صاحب صلاة بني إسرائيل، وزوجُهُ (حنّة بنت فاقوذا بن قبيل)، و(عِمْران وحَنّة) والدا الصدّيقة (مريم) عليها السلام أمّ سيّدنا (عيسى) عليه الصلاة والسلام[٣].

وقد ورد اسمُ (عِمْران) في القرآن الكريم «ثلاث» مرّات، لكنْ ليس المراد ذاته، وإنّما يأتي مضافًا إليه غيره، فجاء (آل عِمْران، وامرأة عِمْران، ومريم بنت عِمْران)[٤]، واسم (عِمْران) لفظ أعجميٌّ ممنوع من الصرف للعَلَميّة والعُجْمة[٥].

ولسورة «آل عِمْران» فضائل عظيمة، فقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: (اقرؤوا القرآنَ، فإنّه يأتي يومَ القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزَّهْراوَين البقرةَ وسورةَ آل عِمْران، فإنّهما تأتيان يومَ القيامة كأنّهما غَمامتان، أو كأنّهما غيايتانِ، أو كأنّهما فِرْقان من طَيْر صوافَّ، تُحاجّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإنَّ أخْذَها بَرَكة، وتَرْكَها حَسْرة، ولا تستطيعُها البَطَلَة)[٦].

---

(١) ينظر: الإتقان، السيوطي: ١: ٥١، ٥٦ - ٥٧.

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي: ٢: ٣، ودلالة أسماء السور القرآنية، د. عمر علي حسّان: ٥٠ - ٥١.

(٣) ينظر: قصص الأنبياء، ابن كثير: ٤٠٠، ٤٠٩، والأعلام والمواقع، د. أيوب درباس: ١٢٥ - ١٢٦.

(٤) سورة آل عِمْران: ٣٣، ٣٥، وسورة التحريم: ١٢، وينظر: الأعلام الأعجمية في القرآن، د. صلاح عبد الفتاح: ١٠٨.

(٥) ينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف، الزجاج: ٦١، وشرح الألفية، المرادي: ٢: ٩٧.

(٦) صحيح مسلم، باب فضائل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم (٨٠٤): ٢: ١٩٧، والزهراوان: مفردها: «زهراء»، وهي البيضاء النيّرة، والغياية: ما أظل الإنسان، والفِرْقان: مفرده: فِرْق، وهو الجماعة من الغنم أو الطير، والبطلة: السحرة، ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٤٠٣، ٩١٧، ٩٦٧، والصحيح في فضائل القرآن، د. فاروق حمادة: ١٩٢، ٢٠٢.

أمّا لفظ «هَمْز» فعلى وزن (فَعْل) - بفتح فسكون - مصدرٌ للفعل (هَمَزَ - يَهْمُز) من الباب الأوّل، وله معانٍ عدّة[١]، قال «ابن فارس»[٢]: (الهاء والميم والزاء كلمة تدل على ضغْطٍ وعَصْرٍ، وهمزتُ الشيء في كفّي، ومنه الهمز في الكلام، كأنّه يضغط الحرف، ويقولون: همز به الأرض، وقوسٌ هَمَزَى: شديد الدفع للسّهم، والهمّاز، وكذا الهُمَزة ...، وهمْزُ الشيطان كالمَوْتَةِ[٣] تغلب على قلب الإنسان تذهب به)[٤]، والذي يعنينا قولُهُ: (الهمز في الكلام، كأنّه يضغط الحرف)، فالهمز هو نبر الحرف، فكلُّ همْزٍ نَبْرٌ، ثم استقلّ مصطلح الهمز بصوت «الألف»؛ لكثرة نبره وهمزه، إذ يُهمز، فيشتدّ صوتُه ويرتفع، فيكوّن الهمزة، فأصبح الهمز إذا أُطلق يراد به الهمزة، فالنَّبْر ليس خاصًّا بالهمزة، بل هو ظاهرة تكتنف الحروف بحسب ضوابط أدائيّة معروفة[٥].

أمّا تعريف «الهَمْز» في اصطلاح اللغويّين فلم أقفْ على تعريف لهم خاص به بحسب ما اطّلعتُ عليه، ولعلّ سبب ذلك أنّ الهمز في أصل معناه لا يتخصّص بحرف الهمزة، وإنّما هو عام لكل حرف أُريد ضغطه ونبره – كما أسلفتُ -، فربّما اكتفى اللغويون بتعريف «تحقيق الهمزة» للدلالة على المراد بالهمز، فإنّه يمثّل «الهمز» تمامًا على ما سيأتي بيانُهُ، فقد قال الإمام أبو عمرو الداني[٦]: (ينبغي للقارئ إذا همَزَ الحرفَ أنْ يأتيَ بالهمزة سَلِسةً في النطق، سهلةً في الذوق من غير لَكْزٍ ولا ابتهار لها[٧]، ولا خروج بها عن حدّها، ساكنة كانتْ أو متحرّكة)[٨]، وعليه يمكن أنْ أعرّف «الهمز» بأنّه: النطق بالهمزة بكيفيةٍ مُحقّقة الصوت مخرجًا وصفة، علمًا أنَّ ظواهر الهمز وردتْ في سورة «آل عِمْران» باستعمالات متنوّعة على مستوى القراءات العشر[٩].

(١) منها: الغمز، والضغط، والنخس، والدفع، ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٥٢٩.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي، من أئمة اللغة، وله تصنيفات حسنة، ومن أهمها «الصاحبي»، ينظر: نزهة الألباء، الأنباري: ٢٣٥، وإنباه الرواة، القفطي: ١: ١٢٧.

(٣) أي: الغَشْيُ، والجنون، ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ١٦١.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٦: ٦٥ - ٦٦.

(٥) ينظر: القراءات القرآنية، د. عبد الصبور شاهين: ١٧ - ٢٩.

(٦) أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، إمام القراءة والتجويد في زمانه، وصاحب التصانيف الكثيرة والنافعة في صنعة التجويد وعلم القراءات، (ت: ٤٤٤هـ)، ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري: ٢: ٦٣٤.

(٧) لكز الهمزة هو النطق بها على شكل التهوّع، وابتهار الهمزة هو النطق بها مهموسة بتدفّق النفس معها، ينظر: التحديد، أبو عمر الداني: ٢٦٥ - ٢٦٦، الهامش (١، ٢)، وينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٥٢٤، ٣٥٥.

(٨) التحديد، أبو عمر الداني: ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٩) القراءات العشر هي: الأداء القرآني الذي رواه القُرّاء العشرة مسنودًا إلى النبيِّ صلّى الله عليه وسلم، والقُرّاء العشرة لكل واحد منهم راويان، وهم مع رواتهم يسلسلهم علماء القراءات على وفق ما يأتي: نافع المدني (ت: ١٦٩هـ)

المطلب الأوّل: تحقيق الهمزة

استُعملت الهمزةُ في القراءات العشر بطرائق متنوّعة، ومنها التحقيق، وهو: أنْ تعطيَ الهمزة حقّها في النطق من مخرجها وبصفتها من غير زيادة ولا نقصان[١]، وسأتناولها بحسب ورودها في العيّنة، إذ وجدتُها على نوعين، وسأدرس كل نوع على حدة، وعلى وفق ما يأتي:

أ- تحقيق الهمزة المتحرّكة بعد همزة الاستفهام وبعدهما ساكن:

الاستفهام أسلوب لغويّ عربيّ، وله أدواتٌ متنوّعة لها الصدارة في الكلام، ومنها حرف الهمزة، وهمزة الاستفهام همزةُ قطعٍ مبنيّة على الفتح[٢]، وقد جاءتْ همزة الاستفهام هنا داخلةً على همزة فعلٍ متحرّكة، وبعدها ساكنٌ، وهو ما ظهر في لفظي (أأسْلمتم) و(أأقْررتم)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ - آل عِمْران: ٢٠ -، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ﴾ - آل عِمْران: ٨١ -، وقد وردتِ القراءة بتحقيق الهمزتين[٣]، وبالرغم من تماثلهما لم يُدغما؛ لثقلهما منفردتين، فإدغامهما يكون أشدّ ثقلًا[٤]، قال «سيبويه»: (ومن الحروف ما لا يُدغم في مقاربِهِ، ولا يُدغم فيه مقاربُهُ، كما لا يُدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزةُ؛ لأنّها إنّما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف، وذلك لازمٌ لها وحدها كما يلزمها التحقيق؛ لأنّها

وراوياه: قالون (ت: ٢٢٠هـ) وورش (ت: ٥١٩٧ه)، وابن كثير المكّي (ت: ١٢٠هـ) وراوياه: البزّي (ت: ٢٥٠هـ) وقُنبُل (ت: ٥٢٩١ه)، وأبو عمرو البصري (ت: ١٥٤هـ)، وراوياه: الدّوري (ت: ٢٤٦هـ) والسوسي (ت: ٢٦١هـ)، وابن عامر الدمشقي (ت: ١١٨هـ) وراوياه: هشام (ت: ٢٤٥هـ) وابن ذَكوان (ت: ٢٤٢هـ)، وعاصم الكوفي (ت: ١٢٧هـ) وراوياه: شعبة (ت: ١٩٣هـ) وحفص (ت: ١٨٠هـ)، وحمزة الزيّات (ت: ١٥٦هـ) وراوياه: البزّار (ت: ٢٢٩هـ) وخلّاد (ت: ٢٢٠هـ)، والكسائي (ت: ١٨٩هـ) وراوياه: أبو الحارث (ت: ٢٤٠هـ) والدّوري (ت: ٢٤٦هـ)، وأبو جعفر المدني (ت: ١٣٠هـ) وراوياه: ابن وردان (ت: ١٦٠هـ) وابن جمّاز (ت: ١٧٠هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت: ٢٠٥هـ) وراوياه: رويس (ت: ٢٣٨هـ) ورَوح (ت: ٢٣٤هـ)، وخلف البزّار (ت: ٢٢٩هـ) وراوياه: إسحاق (ت: ٢٨٦هـ) وإدريس (ت: ٢٩٢هـ)، ينظر: البدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٤٧ ـــ ٦٤.

(١) ينظر: التحديد، أبو عمر الداني: ٢٦٥ – ٢٦٦.

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١: ٩٨ – ١١١، ٢: ١٢٨، ٣: ١٧٥، ١٨٩، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٨: ٢٧٥، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٨٧٨.

(٣) هي قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي - إذا حقّق -، وابن عامر، وخلف، وأبي بكر، وروح، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٢٣، ١٦١، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٨٧٨ - ٨٨٨، والبدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٢١٠، وتحفة البررة، بقاره بطاق: ٢٥٢.

(٤) ينظر: إيجاز التعريف، ابن مالك: ١٧٣.

تُستثقل وحدها، فإذا جاءتْ مع مثلها أو مع ما قرُب منها أُجْريتْ عليه وحدها؛ لأنّ ذلك موضع استثقال)[١]، على أنّه قد تُدغم الهمزتان من غير استثقال إذا كانتا «عينًا» في صيغة موضوعة للتضعيف، نحو: (سَأّال)[٢]، فـ(وجب الإدغام محافظةً على وضع الصيغة، ولا يكون ذلك إلّا إذا اتصلت الأولى بـ«الفاء»، وذلك أنّ الهمزة ثقيلة، ولاسيّما ما ضُعّف منها، فإذا وَلِيَت الأولى أوّل الكلمة خفّتْ)[٣]، فتحقيق الهمزتين في اللفظين المذكورين أيسر من إدغامهما على المعهود المطّرد من كلام العرب، ومن هنا نُدرك أنهم خصّوا تحقيق الهمزتين بالذكر على الرغم من أنّه الأصل، وما جاء على أصله لا يُسأل عن علّته[٤]، لكنّ سبب بيانهما أنَّ التقاء الهمزتين ثقيلٌ في الاستعمال اللغويّ العربيِّ[٥]، قال «سيبويه»: (وإنْ جاءتْ ألف الاستفهام وليس قبلها شيء، لم يكنْ من تحقيقها بُدٌّ، وخفّفوا الثانية على لغتهم)[٦]، وقال «ابن جنّي»[٧]: (أمّا ما يُحكى عن بعضهم من تحقيقهما في الكلمة الواحدة، نحو «أئمّة» ...، فشاذٌّ لا يجوز أنْ يُعقد عليه باب)[٨]، ويُفْهم من كلام «ابن جنّي» مقدار قلّة استعمال تحقيق الهمزتين، وكذلك نفهم كره عموم الاستعمال اللغوي العربي له، لكنّ ندرته لا تعني أنّه ليس استعمالًا فصيحًا، أو أنّه مردود، وعليه نجد أنّ هذا الثقل يحتاج إلى بيان سبب لجوء العربي إليه مع كونه أصلا.

سأتناول لفظ (أأسْلمتم)؛ فهو مغنٍ عن أخيه، فلفظ (أأسْلمتم) ورد بتحقيق الهمزتين، ومعناه أنّ الهمزة الثانية لم تُخفّف، وكذلك لم تُحذف همزة الاستفهام؛ مخافةَ اللبس، فجاءت الهمزتان محقّقتين بنطقهما نطقًا تامًّا، وأرجع علماؤنا علّة تحقيق الهمزتين إلى أكثر من توجيه، فأحدها: أنّ التحقيق هو الأصل والتخفيفُ فرع منه، وثانيها: أنّ الهمزتين هنا على نيّة الانفصال، فهما أقلُّ ثقلًا من الهمزتين المتلازمتين، وثالثها: أنّ ما بعد الهمزة الثانية ساكن، فلو خُفِّفت الهمزة الثانية لقرب ذلك من التقاء الساكنين، ولاسيّما على مذهب مَنْ يُبدل الثانية «ألفًا»، وهو ساكن،

---

(١) الكتاب، سيبويه: ٢: ٤١١.

(٢) ينظر: الخصائص، ابن جني: ١: ١٧٩ - ١٨٠، ٣: ١٤٣، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢٦.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٥٥.

(٤) ينظر: ضوابط الفكر النحوي، د. محمد عبد الفتاح الخطيب: ٢: ٣٠٥.

(٥) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢١، وإيجاز التعريف، ابن مالك: ٧٦.

(٦) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٨.

(٧) أبو الفتح عثمان بن جِنّي، إمام اللغة والأدب، وله تصنيفات جليلة، ومنها: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، (ت: ٣٩٢هـ)، ينظر: نزهة الألباء، الأنباري: ٢٤٤، وإنباه الرواة، القفطي: ٢: ٣٣٥.

(٨) الخصائص، ابن جني: ١: ١٨٢، ٣: ١٤٣.

فيلتقي عندئذٍ بالساكن الذي بعد الهمزة الثانية، وهو (السين)، ورابعها: أنّ تخفيف الثانية يكون بزنة المحقّقة، فالاستثقال في القياس مع التحقيق باقٍ، ولذا قُرئ بإدخال ألف بين الهمزتين مع تخفيف الثانية(١).

أمّا المُحْدثون فينطلق تفسيرهم لهذه الظاهرة من منظور التحليل المقطعي للسلسلة الكلاميّة، ولبيان ذلك نكتب قوله تعالى: (أَأَسْلَمْتُمْ) كتابة صوتيّة، فيكون:

(أَأَسْلَمْتُمْ) - /ء ـَـء ـَـ س-ل ـَ م-ت ـُـ م/

فتتكوّن صوتيًّا من مقطع قصير (/ء ـَـ/) بعده (ثلاثة) مقاطع طويلة مغلقة متتالية، فعندما يجنح العربي إلى التخفيف يقوم بإسقاط الهمزة الثانية على رأي المُحْدثين، فتبقى حركتها، وهي الفتحة، فيلتقي عندها (صائتان قصيران)، وعلى النحو الآتي:

(أَ ـَـ سْلَمْتُمْ) - /ء ـَـ ـَـ س-ل ـَ م-ت ـُـ م/

فيكوّن الصائتان القصيران مصوّتًا طويلًا، هو «الألف»، وبالرسم الصوتي المقطعي يكون:

(أاسْلمتم) - /ء ـًـ س-ل ـَـ م-ت ـُـ م/

فيظهر المقطع المديد (/ء ـًـ س/)، وهو من مقاطع الوقف، ولا يكون في درج الكلام إلّا إذا أدغمتْ قاعدته في قاعدة المقطع التالي له(٢)، فكان ثقل المقطع المديد دافعًا إلى جنوح بعض العرب إلى التحقيق، وهنا فضّل القارئ التحقيق في الهمزة الذي يتخلّص به من هذا المقطع المديد إلى ما ألّفه من المقطع القصير في أوّل كلامه.

فالمُحْدثون فسّروا الظاهرة تفسيرًا مقطعيًّا، وارتكزوا على ما بيّنه علماء اللغة في أنّ ما بعد الهمزة الثانية ساكن، فلو خُفِّفت الهمزة الثانية لقرب ذلك من التقاء الساكنين، ولاسيّما على مذهب مَنْ يُبدل الثانية ألفًا، وبهذا اتّفق أصل التوجيه بين القدماء والمُحْدثين، واختلفتْ طريقة التحليل.

ب- تحقيق الهمزة في لفظ (نبيّ) وبابها:

أعني بلفظ (بابها) الألفاظ التي جاءتْ على منوال واحدٍ في المَدّة المشتقة منها، وهي الألفاظ الآتية: (نبيئًا، والنبوءة، والنبيئين، والأنبئاء)، وسآخذ «اثنين» منهما، هما: (نبيئًا، والأنبئاء)؛ لتشابه علّتها التحليليّة، وعلى وفق ما يأتي:

(١) ينظر: الكشف، مكي القيسي: ١: ٧٠ - ٧٦.

(٢) المقطع المديد يتكوّن من صامتين بينهما صائت طويل، ينظر: أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي: ٩.

أمّا لفظ (نبيئًا) فقد جاءتْ على قراءة بتحقيق الهمز في لفظ (نبيًّا)[١] في قوله تعالى: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ - آل عِمْران: ٣٩ -، و(حجّة من همز أنّه أتى بها على الأصل؛ لأنّه من «النبأ» الذي هو الخبر)[٢]، وهي لغة عند العرب، قال «سيبويه»: (بلغنا أنّ قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق يُحقّقون نبيْء ...، وذلك قليلٌ رديء)[٣]، والذي يبدو أنّ الرداءة هنا عند «سيبويه» ليس المراد بها القراءة القرآنية؛ لأنّه ربّما لم تصل إليه القراءة، أو لم تصح عنده، ولذا قال «الرضي»[٤]: (لعلّ القراءات السبع عنده ليستْ متواترة، وإلّا لم يحكمْ برداءة ما ثبت أنّه من القرآن الكريم)[٥]، وعليه نرى أنَّ الرداءة عند «سيبويه» كان المراد بها الاستعمال اللغويّ بسبب ثقل تحقيق الهمزة عند العرب في مثل هذا اللفظ.

وقد فسَّر علماؤنا مجيء لفظ (نبيّ) بهمز وبغير همز، فـ«سيبويه» يُرجع ذلك إلى طريقة الاستعمال عند العرب، على أنّه يختم كلامه بأنّه من الفعل المهموز (أنبأت)، فقال: (فأمّا «النبيُّ» فإنّ العرب قد اختلفتْ فيه، فمَنْ قال: النُّبآءُ قال: كان مُسَيْلِمَةُ نُبَيِّءَ سَوْء ...، ومَنْ قال: أنْبياءُ قال: نُبيّ سَوْء ...، وأمّا «النبوّةُ» فلو حقّرتها لهمزتَ؛ وذلك قولك: «كان مُسَيْلِمةُ نبوّتُهُ نُبَيِّئَةَ سَوْء؛ لأنَّ تكبير «النبوّة» على القياس عندنا؛ لأنّ هذا الباب لا يلزمُهُ البدل، وليس من العرب أحدٌ إلّا وهو يقول: «تنبّأ مُسَيلِمَة، وإنّما هو من «أنبأتُ»)[٦].

وأجاز بعضهم أنْ يكون (النبيّ، والنبيْء) قد اشتقَّ مرّة من (أنبأ)، وأخرى من (نبا) بمعنى (ارتفع)[٧]، وقد ردّ ذلك «أبو علي الفارسي»[٨]، وجعل اشتقاق (النبيّ) من (أنبأ) حصرًا، وحذفتْ

---

(١) هي قراءة نافع، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٠٦، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٩٧٥، والبدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٢٢٠، وتحفة البررة، بقاره بطاق: ٢٠٧، ٢٢١، ٢٥٨.

(٢) الكشف، مكي القيسي: ١: ٢٤٤.

(٣) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٧٩.

(٤) محمّد بن الحسن الرضي الإستراباذي، إمام في العربية، ومن أشهر تصنيفاته شرحاه لمتني «ابن الحاجب»، وهما «الكافية»، و«الشافية»، (ت: ٦٨٦هـ)، ينظر: بغية الوعاة، السيوطي: ١: ٤٧٨، والأعلام، الزركلي: ٦: ٨٦.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٣٥.

(٦) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٢٦.

(٧) ينظر: المقتضب، المبرد: ١: ١٦٢.

(٨) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي، إمام العربيّة في زمانه، وله تصنيفات حسنة جليلة، ومنها الحجة في القراءات، والإيضاح، والتكملة، وغيرها، (ت: ٣٧٧هـ)، ينظر: نزهة الألباء، الأنباري: ٢٣٢، وإنباه الرواة، القفطي: ١: ٣٠٨.

همزته للتخفيف[١]، أمّا «ابن فارس» فيرى أنّ (النبيَّ صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوّة، وهو الارتفاع، كأنّه مُفضّلٌ على سائر الناس بِرفعِ منزلته ...، ومَنْ همز النبيَّ فلأنّه أنبأ عن الله تعالى)[٢]، ويرى «الفيّومي»[٣] أنّ الأصل هو الهمز، ويحدث فيه إبدال وإدغام، إذ قال: (وأنبأته الخبر وبالخبر، ونَبَّأته به: أعلمته، والنبيءُ، على «فعيل» مهموز؛ لأنّه أنبأ عن الله، أي: أخبر، والإبدال والإدغام لغة فاشية، وقُرئ بهما في السبعة)[٤].

أمّا التفسير اللغوي الحديث فينطلق من مفهومين أحدهما: لا يقول بازدواجية الأصل اللغوي، وإنّما أثبت بوساطة الدرس اللغويّ المقارن باللغات الجَزَريّة (الساميّة) أنّ بنيّة هذا الفعل بالهمز هي الأصل اللغويّ الجَزَري القديم الذي تعد اللغة العربيّة وريثته اللصيقة، وبهذا يُبعد الأصل (نبا)[٥]، والمفهوم الثاني: أثر الأصوات في الظاهرة بما يتضح عن طريق التحليل المقطعي الصوتي لسلسلة اللفظ، فـ(النّبيْء) تكتب بنظام المقطع الصوتي على وفق ما يأتي:

إنّ الهمز هو الأصل بلفظ (النبيء) فلمّا سقطت الهمزة؛ لغرض التخفيف صارت (النّبيّ)، وحدثتْ تغيرات صوتية يمكن إجمالها بالتشكيل الصوتي الآتي:

(النّبيْءُ): /ء ـَـ ن | ن ـَـ | ب ـِـ | ء ـُـ/

حُذفت الهمزة فأصبحت (النّبيُ)، فصار التشكيل المقطعي للفظ بعد الحذف:

(النّبيُ): /ء ـَـ ن | ن ـَـ | ب ـِـ | ... ـُـ/

نجد أنّه قد توالى صائت ونصف صائت هما (ـِـ ـُـ)، وبقي المقطع الأخير بقمّة من غير قاعدة، وهذا لا يصح في الدرس الصوتي الحديث؛ فـ(الضمة) لا قاعدة لها، أي: لم تجلس على صامت، فـ(الياء) صائت طويل تكون قمّة للصامت (الباء)[٦]، وعليه ينشطر الصائت الطويل (الياء) (/ـِـ/) إلى مصوّت قصير هو الكسرة: (/ـِـ/)، ونصف صائت (/ي/) غير مديّة (ياء احتكاكية)[٧]، فيتحوّل المقطع من طويل مفتوح (/ب ـِـ/) إلى طويل مغلق /ب ـِـ ي/، وبذلك

(١) ينظر: الحجة، أبو علي الفارسي: ٢: ٨٨ - ٩٠، والكشف، مكي القيسي: ١: ٢٤٤.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥: ٣٨٥.

(٣) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن علي الحموي الفيّومي المقرئ، ويُعرف أيضًا بـ«ابن ظهير»، فقيه ولغوي، (ت: ٧٧٠هـ)، من مؤلفاته المهمة (المصباح المنير)، ينظر: بغية الوعاة، السيوطي: ١: ٣٨٩.

(٤) المصباح المنير، الفيّومي: ٤٨٣.

(٥) ينظر: قضايا الخلاف الصوتي، د. السيد محمد منازع: ١٩٠.

(٦) ينظر: أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي: ٨.

(٧) هي: الصوت اللغوي الذي ينجم بارتفاع في اللسان فوق نقطة ولادة الصائت باحتكاك مسموع، مثل «ياء»: (يَبَسَ،

نستفيد من وجود نصف الصائت الاحتكاكي؛ لاجتلاب نصف صائت من جنسه؛ ليكون قاعدةً في المقطع الجديد، فتتحوّل الكلمة على الشكل الآتي:

(النبيُ): /ءَـ ن | ن ـَ | ب ـِـ ـُـ/

ـِـ ي (ياء) غير مدّية (احتكاكية) تكون قاعدة للضمة

(النبيُ): /ءَـ ن | ن ـَ | ب ـِـ ي ـُـ/

ثم اجتلب نصف صائت من جنس «الياء» الاحتكاكية، وهو (الياء المدّية)؛ لتفادي ثقل الضمة على «الياء» الاحتكاكية، فنلجأ إلى نبر التضعيف، فيكون التشكيل الصوتي:

(النبيُّ): /ءَـ ن | ن ـَـ | ب ـِـ ي | ي ـُـ/

فالذي نراه أنّ اللفظ تحوّل من نبر التوتر الهمزي إلى نبر التشديد، فالذي يميل إلى (النبر الهمزي)؛ ليتخلص من (نبر التشديد) يعمد إلى إسقاط (الياء) المجتلبة، فيلجأ إلى الهمز، فترجع الطريقة إلى أصلها، وكما يأتي:

(النبيُّ): /ءَـ ن | ن ـَ | ب ـِـ ي | ي ـُـ/

أسقط (الياء) المجتلبة، فأصبحت:

(النبيُ): /ءَـ ن | ن ـَ | ب ـِـ ي | ..... ـُـ/

ثم جيء بالهمزة، فاتحد (المصوّت القصير)، و(النصف الصائب) ليكوّنا الصائت الطويل:

(النبِيْء): /ءَـ ن | ن ـَ | ب ـِـ ي | ء ـُـ/

اتحاد

فأصبح اللفظ مهموزًا على وفق ما يأتي:

(النبيْءُ): /ءَـ ن | ن ـَ | ب ـِـ | ء ـُـ/

وبذلك تخلّص الناطق من (نبر التضعيف)، والتجأ إلى (النبر الهمزي).

ويقال في (النبوءة) و(النبيئين) ما قيل في (النبيء)؛ إذ يميل القارئ فيهما إلى التخلّص من نبر التضعيف أو (التشديد) إلى (النبر الهمزي)؛ للتخلّص من التشاكل الصوتي الذي يحتاج إلى جهد عضلي للنطق به، وبعض العرب من طبيعته الإسراع في النطق، فيحاول أنْ يتخلّص مما يعيق إسراعه، وهو (نبر التضعيف).

ولَيْتَ)، فهذه «الياء» نصف صائت، وقيمتها قيمة صامت بسبب الاحتكاك الذي يتولّد عند النطق بها، لكنَّ علماء الأصوات أطلقوا عليها نصف صائت للتعبير على العلاقة القائمة في الصفة، والمخرج بينها، وبين ما هي منه من الصوائت، ينظر: أبحاث في أصوات العربيَّة، د. حسام النعيمي: ٧ - ٨.

وأمّا لفظ (الأنبئاء) فهو في الكتابة الصوتية على وفق ما يأتي:

(الأنبئاءُ): /ءَـَ ل | ء ـَ ن| ب ـِ | ء ـًَ | ء ـُ/

وأصلها هو (الأنبياء)، وتشكيلها الصوتي هو:

(الأنبياء): /ءَـَ ل | ء ـَ ن| ب ـِـً | ء ـُ/

والذي يتّضح أنّه التقى صائتان طويلان، وهما (/ـِـً/)، وليس بينهما قاعدة، وهذا لا يُقرّه الدرس الصوتي الحديث[١]، فيبدو أنّهم التجؤوا إلى (الهمز)؛ ليتخلّصوا من عدم وجود قاعدة للصائت الطويل (ـًـ)، وهو أيسر من انشطار الصائت الطويل الأول الـ(ـِـ)؛ ليتولد مصوّت قصير، وصائت هي (الياء) الاحتكاكية؛ لتكون قاعدة للصائت الطويل، وبذلك يكون الهمز أيسر على المتكلم، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ الهمز لهجة لبعض العرب قد استقر لسانه عليها.

ممّا تقدّم نجد أنّ الدرس القديم اعتمد الأصل اللغويّ (أنبأ)، وذهب بعضهم إلى تنوّع الأصل بين (نبا، وأنبأ)، أمّا الدرس الحديث فاعتمدَ أصلًا واحدًا هو المهموز، زيادة على أنّ المُحْدثين لا يرون الإبدال، فلا تُبدل الألف أو الياء أو الواو بالهمزة؛ لعدم التوافق الصوتيّ بينهما لا في الصفة ولا في المخرج؛ لأنّ المُحْدثين يرون أنّ التوافق الصوتيَّ من شروط الإبدال[٢]، وما ذهب إليه المُحْدثون نجد له أصلًا عند القدامى، إذ قالوا: (إنّما يُعلم ما تناسب من الحروف باللغة أنْ يُبدل الحرف من أخيه)[٣]، فالإبدال لا يكون إلّا بين الحروف المتناسبة صوتيّا، وزيادة على ما تقدّم يرى المُحْدثون أنَّ القول بإبدال أحرف العلّة بالهمزة يولّد إشكالاً صوتيًّا، ففي لفظ (النبيء، والنبيْ) يرى القدامى أنّه قبل حرف المدّ حركة من جنسه، وعليه يكون الإبدال عندهم كما يأتي:

(نَبِيْءٌ) - /ن ـَـ - ب ـِـ ي-ء ـُـ ن/ بالإبدال يكون:

(نَبِيٌّ) - /ن ـَـ - ب ـِـ ـِـّ-ي ـُـ ن/

فاجتمع صائتان هما الكسرة والياء المدّية (ـِـ ، ـِـّ) على الصامت (ب)، ومعناه اجتماع قمَّتَين على قاعدة واحدة، وهذا يمنعُهُ المُحْدثون؛ لأنَّ التحليل الصوتي المختبري عند النطق بحرف المد (الياء) لا يُظهر إلّا قمّة واحدة هي (ـِـّ)، فلا وجود للكسرة قبلها[٤]، وعليه فسّر المُحْدثون ظاهرة التحقيق والتخفيف بسقوط الهمزة، واللجوء إلى التضعيف، ولا مكان للإبدال.

---

(١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي: ٨.

(٢) ينظر: القراءات القرآنية، د. عبد الصبور شاهين: ٧٣، والمنهج الصوتي، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٠ ـــ ١٧١.

(٣) الصاحبي، ابن فارس: ١٧٣، وينظر: الخصائص، ابن جني: ٢: ٨٢.

(٤) ينظر: أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي: ٨.

ومن جهة أخرى إنّ القول بتعدّد الأصل اللغويّ بحسب نوع اللفظ قول ظاهره سليم، لكنّ التدقيق فيه يُريك خللًا خفيًّا يمكن بيانه فيما يأتي:

١- الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بُعثوا مبلِّغين ومُخْبِرين ومُنْبِئين عن الله تعالى، وهذا هو أصل العلاقة القائمة بين الله تعالى وسائر البشر بوساطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا يقتضي أنّ معنى وصفهم بـ(الأنبياء) الذي مفرده (النبيّ) لا يتعدّى هذه الدلالة، وهي الإخبار والإنباء والتبليغ عن الله تعالى، وهذه الدلالة تؤدّيها مادة (ن، ب، أ) عن طريق اشتقاق الفعل (نبّأ ــ يُنبّئ) أو (أنبأ ــ يُنْبئ) تمامًا، وهذا ما يؤيّده الاستعمال القرآنيُّ في مواطن عدّة، ومنها قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ - الحجر: ٤٩ -، وقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ - القمر: ٢٨ -، وبهذا سُمّي تبليغ أوامر الله تعالى بـ(النبأ)، فقال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ - النبأ: ١، ٢ -، وعليه لا مقتضى لوجود الفعل (نبا ــ ينبو) بمعنى: علا وارتفع عن الخلق بالنبوّة، فهذا معنى بعيد عن غاية النبوّة وعلّة رسالتها، بل إنّ التزام هذا الأصل - (نبا ينبو) بمعنى: علا وارتفع - يفتح الباب أمام أدعياء العلم من الذين يُعرفون بالحداثيين العرب الذين أخذوا بتفسير القرآن الكريم تفسيرًا لا يضبطه ضابطٌ لا عقليٌّ ولا نقليٌّ، ومن هنا يستطيع هؤلاء أنْ يجعلوا أمر النبوة مختصًّا بارتفاع الشأن وعلوّ المنزلة، وعندئذٍ يُخرجون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أمر التبليغ عن الله تعالى.

٢- (النبأ والتّنْبيْء) مرادان في معنى (النبيْء ــ النبيّ)، فهو على وزن (فَعيل) بمعنى (فاعل)، أي: (مُنْبئ)، أو بمعنى (مفعول)، أي: (مُنْبأ)، وفي كلا الأمرين نحن في دائرة (نبأ).

٣- وجود (النبيء)، و(النبي) لا يحتاج إلى الإيغال في ردّهما إلى أصلين مختلفين، فلو أخذنا هذا الإيغال في التوجيه أصلًا في تفسير اشتقاق الألفاظ المهموزة والمخفّفة لما صحّتْ لدينا دلالة لفظ على المعنى المراد من السياق، لكنْ تسعنا فيهما ظاهرة تحقيق الهمز وتخفيفه المعروفة في الاستعمال العربي الفصيح.

٤- التزام الأصل (نبأ) أيسر من تشتت الرجوع إلى أصلين مختلفي الدلالة، ولاسيّما أنّ له ما يؤيّده في الاستعمال القرآني، بل إنّ وجود الهمز والتخفيف يدل على أنّ الأصل مهموز، فقد قال القدامى: (إنَّ ما كان مهموزًا قد يُترك همزُهُ، وما لم يكنْ مهموزًا لم يجز همزه)[1]، وعليه يكون التزام الأصل الواحد وتطبيق ظاهرة التخفيف عليه أجدى.

(١) إعراب القرآن، النحاس: ٣: ٣١.

٥- أثبتت الدراسات اللغويّة المقارنة أنّ اللغة الجَزَريّة الأم (الساميّة) استعملت البنية المهموزة في لفظ (النبي)، ولاسيّما أنّ ظهور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مألوف في البيئة التي تستعمل اللغة الجَزَريّة وتفرعاتها، واللغة العربيّة منها، وعليه تكون وحدة الأصل اللغويّ فاصلًا في إثبات أصالة البنية المهموزة لا غير، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: تخفيف الهمزة

الهمزة حرفٌ شديد له نبرة في الصدر تخرج من أقصى الحلق (الحنجرة) باجتهاد، فيشق النطق بها ويثقل، فساغ فيها التخفيف عند بعض العرب في الحواضر ك«قريش»، و«أهل الحجاز»، ولذا نجد أكثر ما يرد في القراءات القرآنية في تخفيف الهمز يأتي من طرقهم، (كابن كَثيْر من رواية ابن فُلَيْح، وكنافع من رواية وَرْش، وكأبي عمرو، فإنّ مادة قراءته عن أهل الحجاز)[١].

ومن المعروف أنّه يُشترط في تخفيف الهمزة ألّا تقع أوّلًا، فإذا وقعتْ أوّلًا، أي: ابتداءً، ولم يكنْ قبلها شيء امتنع تخفيفها؛ لأنّ التخفيف يُضْعفها ويقرّبها من الساكن، فكما لا يُبتدأ بساكن كذلك لا يبتدأ بما قرب منه[٢].

إنَّ تخفيف الهمزة له ثلاثة أوجه هي الحذف أو الإبدال أو التسهيل[٣]، فأمّا الحذف فهو إسقاط الهمزة من اللفظ، وأمّا الإبدال فهو أنْ تصير الهمزة إلى الألف أو الياء أو الواو بحسب حركتها أو حركة ما قبلها، وحينئذٍ تُزال نبرتها، فتلين، وأمّا التسهيل فهو أنْ تُنطق الهمزة (بين بين)، أي: بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها[٤]، إذ إنَّ الحركات أبعاض أحرف المد واللين، فإذا كانت الهمزة مفتوحة جُعلتْ في النطق بين الهمزة والألف، وإذا كانتْ مكسورة جُعلتْ بين الهمزة والياء، وإذا كانتْ مضمومة جُعلتْ بين الهمزة والواو، وسأتناول تخفيف الهمزة بحسب الطرائق التي خُفّفتْ بها، والتي وردتْ في العيّنة المدروسة، وعلى وفق ما يأتي:

(١) الإتقان، السيوطي: ٢: ٦٢٧.
(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٥.
(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٣.
(٤) ينظر: شرح المفصل، بن يعيش: ٩: ٢٠٢.

أ - حذف الهمزة:

في قوله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ - آل عِمْران: ٩١ -، قُرئ: (مِلُ) بحذف الهمزة[١]، وقد وجّه القدامى هذا الحذف على أنَّ الهمزة لمّا وقع قبلها حرف ساكن (اللام) - وهو غير مدٍّ ولا لين - لم يريدوا أنْ يُتمّوا، وأرادوا إخفاء الصوت، فلم يكنْ ليلتقي ساكنٌ مع الهمزة المخفّفة؛ لأنّها إذا خُفّفتْ ذهبتْ نبرتها، فقرُبتْ من الساكن، فيلتقي عندئذ ساكنان في غير مواطن الجواز، ولا يمكن إبدال حرف آخر بها، فليستْ قبلها حركة تبدل به على حكمها، إذ البدل في الهمز يجري على حكم حركة ما قبله، ولا حركة قبل هذه، ولا يمكن جعلها «بين بين»؛ لأنّ همزة «بين بين» لا تقع بعد ساكن غير «الألف»، فلم يبق إلّا إلقاء حركتها على ما قبلها وحذفها[٢]، فالدرس القديم يرى أنّ الهمزة المتحرّكة بعد ساكن يقبل الحركة يجوز نقل حركتها إلى ذلك الساكن وحذفها للتخفيف؛ تجنبًا لالتقاء الساكن مع شبيه الساكن؛ لثقله.

وهذا الذي انتهى إليه الدرس اللغويّ القديم في هذه المسألة لا يُقرّه الدرس الصوتي الحديث، فلا يوجد عندهم أصل علميٌّ لنقل الحركة؛ لأنّ الكلام سلسلة منطوقة متتابعة، ويتغيّر المعنى إذا غيّرنا أيَّ شيء فيها، والذي يراه الدرس الصوتي الحديث أنّ الهمزة أُسقطتْ، وأعيد تشكيل المقطع الصوتي على وفق ما يأتي[٣]:

(مِلْءُ) بالكتابة الصوتية يكون: /م ـِـ ل-ء ـُـ/

وبإسقاط الهمزة تصبح الكتابة الصوتية على الشكل الآتي:

(مِل ـُـ): /م ـِـ ل-... ـُـ/

والذي نراه أنّ المقطع الثاني يبدأ بقمّة، وهي الصائت (ـُـ)، فنقلت القاعدة الثانية من المقطع الأوّل، وهي (اللام)؛ لتكون قاعدة للقمّة (ـُـ)، وأعيد التشكيل الصوتي على وفق ما يأتي:

(ملُ): /م ـِـ - ل ـُـ/

---

(١) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن وردان، والأصبهاني عن ورش، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٠٩، والكنز، الواسطي: ٢٦٤، ٤٤٤، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٩٩٢، ٥: ١٦٥٤، والبدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٢٣٥، وتحفة البررة، بقاره بطاق: ٢٦١.

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٥، والكشف، مكي القيسي: ١: ١١٠ - ١١١، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٤٠.

(٣) ينظر: القراءات القرآنية، د. مي الجبوري: ٦٣.

فالذي حدث أنّ المقطع الأوّل في الهمز كان طويلًا مغلقًا، فتحوّل في التخفيف إلى مقطع قصير مفتوح؛ لأنّ قاعدته الثانية قد انتقلتْ لتكون القاعدة الأولى للمقطع الثاني الذي حُذفتْ قاعدته الأولى، وهي الهمزة، ولا شكّ أنّ المقطع القصير أخف من المقطع الطويل المغلق.

ب - إبدال الهمزة:

هذه هي الطريقة الثانية في تخفيف الهمزة، وتُعرف بـ(الإبدال)، وهو في عرف اللغويّين إبدال حرف من جنس حركة الهمزة أو حركة ما قبلها بها، وعندئذٍ تزال نبرتها فتلين[١]، وجاء الإبدال في العيّنة المدروسة في مواطن، وسأختار منها ما يُمثّل كلَّ نوع منها، وهي الألفاظ: (جيتكم، وهَيَّة، ويشاءونّ)، وسأتناولها بحسب تسلسها تباعًا كلًا على حدة، وعلى وفق ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ - آل عِمْران: ٥٠ -، فقُرئتْ (وَجيْتُكُم)[٢]، ومعنى هذا أنّ الهمزة الساكنة فيها أبدلتْ «ياءً» على رأي القدامى؛ لأنّ من أصولهم أنّ الهمزة الساكنة المفردة التي لم تلاصق مثلها تخفّف استحسانًا بالإبدال دون غيره من أوجه التخفيف المعروفة؛ لأنّها لمّا كانتْ ساكنة ضَعُفتْ، فلم تُدَبّرْ نفسها، وإنّما يُدبّرها أقرب الحركات منها، فتبدل حرف علة مجانسًا لحركة ما قبلها[٣]، وهنا أُبْدلت الهمزة «ياءً»؛ مجانسة لحركة الكسرة التي قبلها، وهذا الإبدال قياسي في عرف القدامى؛ لأنّ الهمزة وقعتْ ساكنة بعد متحرّك، فتبدل بصوت حركة ما قبلها؛ لأنّ صوت العلّة الذي هو صوت حركة ما قبلها أخف منها فأبدلتْ منه[٤]، قال «سيبويه»: (فإنّما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنّه ليس شيء أقرب منه، ولا أولى بها منه)[٥].

أمّا المُحْدثون فبناء على قوانين الدرس الصوتي الحديث يوجّهون ما يعرف بـ(إبدال الهمزة) عند القدامى توجيهًا جديدًا، لأنّهم يرون في توجيه القدامى إشكالين، أحدهما عدم التوافق الصوتي

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٠٢.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وأبي جعفر المدني، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٠٤، والتذكرة، ابن غلبون: ١: ١٢٧ - ١٤٦، والكنز، الواسطي: ٢٤٩، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٩٣٦.

(٣) ينظر: الكشف، مكي القيسي: ١: ١٠٢ - ١٠٣، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٤) ينظر: الكشف، مكي القيسي: ١: ٨٠ - ٨١.

(٥) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٤.

بين المبدل والمبدل منه، أي: بين الهمزة والياء، فالأوّل صامت، والثاني صائت[١]، وما ذهب إليه المُحْدثون نجد له أصلًا عند القدامى، إذ قالوا: (إنّما يُعلم ما تناسب من الحروف باللغة أنْ يُبدل الحرف من أخيه)[٢]، والإشكال الثاني: ظهور قمّتين للقاعدة الواحدة، أي: وجود صائتين على صامت واحد، وهذا لا يصح في المفهوم الصوتي الحديث؛ لأنّ التحليل الصوتي المختبري لا يُظهر إلّا صائتًا واحدًا سواء أكان قصيرًا أو طويلا[٣]، وعلى وفق ما يأتي:

أصل الكلمة هو (جئتُكُم)، وتكتب صوتيًّا على وفق ما يأتي:

(جِئْتُكم) - /ج ـِـ ء- ت ـُـ-ك ـُـ م/

وعلى القول بإبدال الهمزة حرف علة من جنس حركة الحرف الذي قبلها ينتج لدينا في الكتابة الصوتية ما يأتي:

(جيتكم) - /ج ـِـ ـِـ- ت ـُـ-ك ـُـ م/

وهنا يتّضح لدينا أنَّ في المقطع الأول قمّتين لقاعدة واحدة، وهو ما يرفضه الدرس الصوتي الحديث، فالقمّة الأولى هي (الكسرة)، والقمّة الثانية هي (الياء المدية): (/ج ـِـ ـِـ/)، وقاعدتهما واحدة هي (الجيم)، وبناءً على هذا لا يُقر الدرس الحديث (الإبدال)، وإنّما الذي حدث أنّ الهمزة سقطتْ من التشكيل الصوتي، ومُدتْ حركة الحرف الذي قبلها، فتولّد منها حرف عن طريق إطالة الصوت القصير، وهنا تمتد الكسرة فيتولّد منها الياء، وعلى وفق ما يأتي:

(جِئْتُكم) - /ج ـِـ ء- ت ـُـ-ك ـُـ م/

بإسقاط الهمزة عن طريق حذفها، وإطالة الصوت بالمصوت القصير الذي قبلها، فيكون:

(جيتُكم) - /ج ـِـ- ت ـُـ-ك ـُـ م/

فالتفسير البديل عند المُحْدثين هو حذف الهمزة للتخفيف، وإطالة الصوت بالمصوّت القصير، ولا إبدال في المسالة، والله تعالى أعلم، فالنتيجة بين القدامى والمُحْدثين واحدة، لكنّ أدوات التحليل تختلف، وسبب هذا الاختلاف هو الأصول العلمية التي ينطلق منها كل فريق.

أمّا لفظ (هَيْأة) في قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ - آل عِمْران: ٤٩ -، فقُرئ (هَيَّة)[٤]، فالذي حدث في هذه القراءة بحسب مفهوم الدرس

(١) ينظر: القراءات القرآنية، د. عبد الصبور شاهين: ٧٣، والمنهج الصوتي، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٠ - ١٧١.

(٢) الصاحبي، ابن فارس: ١٧٣، وينظر: الخصائص، ابن جني: ٢: ٨٢.

(٣) ينظر: المنهج الصوتي، د. عبد الصبور شاهين: ١٧ - ١٨، وأبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي: ١١ - ١٣.

(٤) هي قراءةً لأبي عمرو، وأبي جعفر المدني، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٠٥، والكنز، الواسطي: ٤٤٢، والنشر، ابن

اللغويّ القديم أنّ الهمزة المتحرّكة قُلبتْ حرفًا مجانسًا لما قبلها، وهي هنا (الياء)، ثم أدغمتْ فيه[١]، وعلّة ذلك أنّه (لمّا بقيتْ في الواو والياء الأصليتين مشابهةٌ بالواو والياء الزائدتين، في أنّهما ساكنان كالزائدتين، وأنّ حركة ما قبلهما منهما كالزائدتين، وأنّهما يُمدّان كالزائدتين كان معهما الإبدال والإدغام على التشبيه بالزائدتين)[٢].

وهذا أحد وجهين في تخفيف الهمزة المتحرّكة التي قبلها حرفُ لين غير زائد، والوجه الثاني: أنْ تحذف الهمزة، وتُلقى حركتها على ما قبلها، وهو الوجه الأعلى عندهم، ولذا عدّ «ابن جنّي» قلب الهمزة من جنس ما قبلها وإدغامهما استعمالًا ضعيفًا، إذ قال: (الوجه في تخفيف نحو ذلك - أي: الهمزة المفتوحة وقبلها ياء ساكنة - أنْ تحذف الهمزة، وتلقي حركتها على «الواو» قبلها، فنقول في نحو: السَّوْءَة: السَّوَة، وفي تخفيف الجَيْئة: الجَيَة، ومنهم مَنْ يقول: السَوَّة، والجَيَّة، وهو أدون اللغتين وأضعفهما)[٣]، وعلّل العلماء هذا التمايز بين الاستعمالين، فقالوا: (في حرفَي اللين، نحو: «سَوْءة، وكَهَيْئة» لك إبقاء الحركة، وهو الأحسن، ولك الإبدال والإدغام على التشبيه بالزائدة، والإبدال والإدغام في هذا أضعف منه في حرف المد واللين الأصلي المذكور قبله؛ لأنّ حرفَي اللين أبعدُ مشابهةً للحروف الزوائد من حرفَي المد واللين الأصليين، فحرفا اللين أقرب إلى مشابهة سائر الحروف غير حرف المد واللين، فحملهما على حكم سائر الحروف في إلقاء الحركة عليهما أحسنُ وأقوى من الإبدال والإدغام)[٤]، فالاستحسان جاء بداعٍ صوتي بحملِ حرف اللين على الحروف الصحاح من جهة المشابهة، وعلّة هذه المشابهة عند القُدامى هي (أنّ الواو والياء لمّا خرجا عن تمكّن شبه الألف بكونهما غير زائدتين أشبها سائر الحروف غير الألف، فجاز فيهما أنْ تُلقى حركة الهمزة عليهما، كما يُفعل ذلك في سائر الحروف غير الألف)[٥].

وبيّن «د. صاحب أبو جناح» هذه الدّونية والضعف عند «ابن جنّي»، فقال: (الواضح أنَّ مقياس الدّونيّة والضعف عند «ابن جنّي» هنا هو قلّة الاستخدام، أو ضيق الرقعة لهذه اللهجة، ولكنّ الواضح أنّ هذه اللهجة هي التي تعم أقطار الوطن العربي الآن في الاستخدام اليومي، وليس

الجزري: ٣: ٩٥١، ٥: ١٦٥٢، والبدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٢٢٣، وتحفة البررة، بقاره بطاق: ٢٥٦.

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٠٦، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٣٣ - ٣٤.

(٢) الكشف، مكي القيسي: ١: ١١٠.

(٣) المحتسب، ابن جني: ١ : ٢٤٣.

(٤) الكشف، مكي القيسي: ١: ١٠٩.

(٥) الكشف، مكي القيسي: ١: ١٠٩ - ١١٠.

من المعقول أنْ يكون استخدامًا قديمًا على نحو ما تصوّره «ابن جني» من الضيق والندرة، فتعدّد القبائل التي انتشرتْ في الأصقاع العربية، وما ورثه عنهم أحفادهم يبطل هذا الاعتقاد)[١].

أقول: أمّا كون الاستعمال اليومي الآن يُبطل دعوى «ابن جني» في الندرة والضيق فمردودٌ؛ لأنّه من غير المعقول أنْ نعد التطور اللغويّ الذي أصاب استعمالنا اليومي عن طريق الاختلاط ميزانًا على لغةٍ كانتْ قبل ما يزيد على (١٠٠٠) عام، وأمّا كونها لهجة مستعملة، وقراءة متّبعة فهو أقرب في الرد على «ابن جني» علميًّا وعمليّا.

أمّا التفسير الصوتي الحديث فلا يرتضي القول بالإبدال في تخفيف الهمزة؛ لانعدام العلاقة الصوتية بين الهمزة والواو والياء، وهذا ما بينتُهُ آنفًا[٢]، والبديل عندهم إسقاط الهمزة (حذفها)، وإعادة تشكيل المقاطع الصوتية، وعلى وفق ما يأتي:

(هَيْأَة) - /هـ ـَـ ي- أ ـَـ ه/

فحذفت الهمزة، وأعيد تشكيل المقطع الصوتي:

(هَيْـَـة) - /هـ ـَـ ي- ـَـ ه/

ونجد أنَّ المقطع الصوتي الثاني بدء بصائت، أي: (قمّة)، وليس لها قاعدة، وهذا لا يمكن في الدرس الصوتي الحديث، فنستفيد من (المزدوج الهابط)[٣]، وهو (/ـَـ ي/)؛ لتكوين (ياءٍ) احتكاكية تكون قاعدة للصائت القصير «الفتحة»، وسبب ولادة هذه «الياء» الاحتكاكية أنّ هذه «الياء» الأولى نصف صائتٍ قيمتُهُ قيمةُ صامت، وهي التي تُسمّى في الدرس اللغوي القديم بـ(حرف لين)، ولذا تكون هذه «الياء» غير المديّة (الاحتكاكية) الجديدة قاعدةً في التحليل الصوتي حالها في ذلك حال الحروف الصحاح، وهذا المفهوم نفسه قال به القدامى كما أسلفتُ، فحرف اللين عندهم أقرب إلى مشابهة سائر الحروف[٤]، وعليه يُعاد التشكيل الصوتي على وفق ما يأتي:

(هَيْـَـة) - /هـ ـَـ ي- ـَـ ه/

ي (ياء) غير مدّية (احتكاكية) تكون قاعدة للفتحة

تكوين «ياء» احتكاكية تكون قاعدة للصائت «الفتحة»، فينتج:

(هَيّة) - /هـ ـَـ ي- ي ـَـ ه/

---

(١) الظواهر اللغويّة في قراءة الحسن البصري، د. صاحب أبو جناح: ١٣٧.

(٢) ينظر: القراءات القرآنية، د. عبد الصبور: ٧٧، والمنهج الصوتي، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٠ ــ ١٧١.

(٣) ينظر: أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي: ٨.

(٤) ينظر: الكشف، مكي القيسي: ١: ١٠٩.

وبهذا قد تخلّصنا من نبر الهمزة بنبر التضعيف، وهو من طرق تسهيل الهمزة، على أنّ توجيه المُحْدثين تباين مع توجيه القدامى من جهة الطريقة، وأمّا النتيجة فواحدة.

أمّا عبارة (يشاءُ إنّ) فقد جاءتْ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ - آل عِمْران: ١٣ -، فوردت القراءة بـ(يشاءُ وِنّ)[١]، أي: بإبدال الهمزة الثانية التي في (إنْ) حرفًا من جنس حركة ما قبلها، وهي الضمة، فصارت الهمزة واوًا مكسورة، وهذا التخفيف على رأي «الأخفش»[٢]، وإلّا فهناك آراء أُخر[٣]، وإنّما خُفّفت الثانية؛ لأنّ الاستثقال كان بسببها؛ لأنّه (لا يوجد مضمومة مكسورة ما قبلها في كلامهم)[٤]، وإنّما استُسيغ هذا الوجه؛ (لأنّه يقول في تخفيف الهمزة من قولهم: «مَرَرْتُ بِأَكْمُؤِك»: «مَرَرْتُ بِأَكْمُوِك»، فيبدل من الهمزة واوًا مكسورة؛ إتباعًا للضمّة التي قبلها؛ لأنّها بالاتصال قد قرُبتْ منها، فلذلك قلبها إلى الحرف الذي منه الضمّة، وهو الواو، فعلى هذا الوجه يكون هذا الوجه الذي ذهب إليه القرّاء في قلب هذه الهمزة في التخفيف واوًا مكسورة، غير أنّهم أجْرَوا ما كان من كلمتين مجرى ما كان من كلمة واحدة من حيث اتّفقا في الاتصال)[٥].

أمّا الدرس اللغوي الحديث فلا يرتضي الإبدال؛ لعدم التوافق الصوتي بين المبدل والمبدل منه على ما ذكرتُ آنفًا[٦]، فيرى أنّ الهمزة حُذفتْ، وأعيد التشكيل الصوتي على وفق ما يأتي:

(يشاءُ إنْ) - /ي ـَـ-ش ـًـ-ء ـُـ-ء ـِـ ن/

فإذا سقطت الهمزة يكون:

(يشاءُ ـِـ نْ) - /ي ـَـ-ش ـًـ-ء ـُـ ـِـ ن/

---

(١) هي قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٢٦، والتذكرة، ابن غلبون: ١: ١١٩، والكنز، الواسطي: ٢٨٧، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٩٣١، والبدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٢٠٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١: ٤٥، ٤٩، والأخفش هو: سعيد بن مسعدة «الأخفش الأوسط»، نحوي كبير، ومن تصنيفاته «معاني القرآن»، (ت: ٢١٥هـ)، ينظر: طبقات النحويين، الزبيدي: ٧٢، ونزهة الألباء، الأنباري: ١٠٧.

(٣) أي: بجعلها همزة «بين بين»، أو بإبدال الياء بالثانية، أو بزيادة «ألف» بينهما، أو بتخفيف الأولى، ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٧ - ١٦٩، والكشف، مكي القيسي: ١: ٧٧، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٢٢٦ - ٢٣٠، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٤٤ - ٤٦، ٦٥ - ٦٦، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٩٣٠ - ٩٣٣.

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٥٦، ٦٥.

(٥) التذكرة، ابن غلبون: ١: ١١٩.

(٦) ينظر: القراءات القرآنية، د. عبد الصبور: ٧٧، والمنهج الصوتي، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٠ ــ ١٧١.

فالتقى صائتان طويل وقصير هما (/ـُـ ـِـ/) من غير صامت بينهما، ومعنى هذا اجتماع قمّتين على قاعدة واحدة، وهذا لا يبيحه الدرس الصوتي الحديث، وعليه يُعالج ذلك علميًّا بمدِّ الصوت بالضمة، فأصبحتْ «واوًا» مدّيّة، وعلى وفق ما يأتي:

(يشاءُو ـِـ نْ) - /ي ـَـ-ش ـّـ-ء ـُـ ـِـ ن/

ثُم شُطرت (الواو) المدّية إلى صائت قصير هو «الضمة»، ونصف صائت، وهو «واو» احتكاكية قيمتها قيمة صامت؛ لتكون قاعدة الصائت «الكسرة (/ـِـ/)، وعلى وفق ما يأتي:

(يشاءُو ـِـ نْ) - /ي ـَـ-ش ـّـ-ء ـُـ ـِـ ن/

ـُـ و (واو) غير مدّية (احتكاكية) تكون قاعدة للكسرة

وبذلك يُعاد التشكيل الصوتي على وفق ما يأتي:

(يشاءُوِنْ) - /ي ـَـ-ش ـّـ-ء ـُـ -و ـِـ ن/

ج - تسهيل الهمزة:

تسهيل الهمزة أحدُ الطرق الثلاثة في تخفيفها، وقد تكلّمنا على الحذف والإبدال، ونتكلّم الآن على التسهيل بحسب ما ورد في العيّنة المدروسة، إذ إنّه ورد لدينا لفظان هما: (أأَسْلمْتُم، وأأَقْرَرْتُمْ) مُسهّلة همزتاهما الثانيتان، والتكلم على إحداهما كفيلٌ بتوضيح الثانية.

لقد وردتْ قراءة لفظ (أأَقْررْتُـمْ) بتسهيل الهمزة الثانية على شكل همزة «بين بين» في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ﴾ - آل عِمْران: ٨١ -، إذ اجتمعتْ لدينا همزتان متحرّكتان بالفتح أولهما همزة الاستفهام، والثانية همزة الفعل (أقرَّ)، وقد جاءت القراءة المذكورة بتسهيل الهمزة الثانية على شكل همزة «بين بين»[1]، وبناءً على هذا تكون القراءة في (أأَقْررْتُم) على شكل (أأقْرَرْتم)، لكنّ همزة (بين بين) لا يمكن ضبطها إلّا بالمشافهة، قال «ابن يعيش»: (ولا يظهر سرُّ هذه الهمزة، ولا ينكشف حالها إلّا بالمشافهة)[2].

وهمزة «بين بين» فرع نطقيٌّ عن الهمزة التي هي من الحروف المستحسنة التي عدّها «سيبويه»، فهي تبع لأداء الهمزة، وبمجموع هذه الفروع التي منها همزة «بين بين» يُصبح عدد الحروف (٣٥)

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وحمزة، ينظر: المبسوط، ابن مهران: ١٢٣ - ١٢٤، والنشر، ابن الجزري: ٣: ٨٨٧، والبدور الزاهرة، أبو حفص النشار: ١: ٢١٠، وتحفة البررة، بقاره بطاق: ٢٥٢.

(٢) شرح المفصّل، ابن يعيش: ٩: ٢١٢.

حرفًا[١]، فهي داخلة في الأداء المستحسن، ولاسيّما أنّها وردتْ في قراءات قرآنية صحيحة[٢]، وقد علّل «سيبويه» جنوح العرب إلى همزة «بين بين» بقوله: (فإنّما جُعلتْ هذه الحروف «بين بين»، ولم تُجعل ألفات ولا ياءات ولا واوات؛ لأنّ أصلها الهمز، فكرهوا أنْ يُخفّفوا على غير ذلك، فتُحوّل عن بابها، فجعلوها «بين بين»؛ ليعلموا أنّ أصلها عندهم الهمز)[٣].

ويرى بعض القدماء أنّ همزة «بين بين» من جهة طبيعة أدائها «ثلاثةُ» أحرف، فقال: (وأمّا همزة «بين بين» فإنّ «سيبويه» عدّها حرفًا واحدًا، وكان ينبغي على التحقيق أنْ تُعدّ «ثلاثة» أحرف، وذلك لأنّ همزة «بين بين» هي التي تُجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ...، ولمّا كان كلُّ واحد من هذه الحروف الثلاثة غيرَ الآخر وجَبَ أنْ يكون حرفُ الذي بينه وبين الهمزة غيرَ الحرف الذي بين الهمزة وبين الآخرَين، وهذا كافٍ في مقصودنا)[٤]، ومعنى هذا أنّ همزة «بين بين» لمّا كانتْ بين الهمزة والحرف الذي حركتها منه، فإنْ كانتْ مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإنْ كانتْ مضمومة فهي بين الهمزة والواو، وإنْ كانتْ مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وبهذا تنوّعتْ بين «ثلاثة» أحرف، هي (الياء، الواو، والألف)[٥].

ومن نافلة القول أنْ أبيّن أنّ نطق همزة «بين بين» اختفى من الاستعمال اللغويّ المعاصر فصيحًا كان أو عاميًّا، وبقيت القراءات القرآنية محتفظة به[٦].

وتسهيل الهمزة بطريقة «بين بين» لا يكون إلّا في اجتماع همزتين متحرّكتين بأحد طريقين، فأحدهما: اجتماع الهمزتين في لفظ واحد، ولا تكون الأولى منهما إلّا مفتوحة، وتكون الثانية بإحدى الحركات الثلاث، ومنها: (أئمة) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ - السجدة: ٢٤ -، والطريق الثاني: اجتماع الهمزتين المتحرّكتين في لفظين، وتأتي الأولى والثانية بإحدى الحركات الثلاث متفقتين في الحركة أو مختلفتين، ومنها: (يشاءُ إلى) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ - البقرة: ١٤٢ -[٧].

---

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢: ٤٠٤.

(٢) ينظر: النشر، ابن الجزري: ٣: ٨٨٨، وما بعدها.

(٣) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٤.

(٤) الموضح في التجويد، القرطبي: ٨٢.

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب، أبو حيان: ١: ١٢.

(٦) ينظر: أصوات العربيّة بين التحول والثبات، د. حسام النعيمي: ٤٦.

(٧) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢١ - ٢٢٧.

وهناك اختلاف بين القُرّاء واللغويّين في دخول همزة الاستفهام على اللفظ من أيّ نوعٍ هو؟، فالقُرّاء يجعلونه من اجتماع الهمزتين في لفظ واحد[١]، واللغويون يجعلونه من اجتماع الهمزتين في لفظين[٢]، قال «ابن مالك»[٣]: (لو كان الأول للاستفهام جاز في الثاني التحقيق والإبدال ...؛ لأنّ همزة الاستفهام كلمة، فالهمزة التي بعدها أول كلمة ثانية، ولكنّ القُرّاء يقولون في همزة الاستفهام وما يليها: «همزتان في كلمة»، وهذا تقريب على المتعمّقين مع كونهم بحقيقة الأمر عالمين)[٤].

ويبدو أنّ كلَّ فريقٍ منهما قد نظرَ من جهة، فالقُرّاء نظروا من جهة الشكل والصوت، فرأوهما كلمةً واحدة، واللغويّون نظروا من جهة المعنى فوجدوهما لفظين منفصلين، فلهمزة الاستفهام دلالتَها المستقلّة وظيفيًّا عن دلالة ما دخلتْ عليه، فهي لفظٌ مستقلٌّ، وحالها حال (هل)، على أنّه من نافلة القول أنْ أبيّن أنّ هذا الخلاف في نوع اجتماع الهمزتين سواء أكانتا من لفظ واحد أو في لفظين لا يُبنى عليه شيءٌ، فالخلاف فيهما شكلي، وهو من باب تبويب أنواع الهمزتين الملتقيتين، علمًا أنّ التسهيل هنا جرى على الهمزة الثانية، قال «سيبويه»: (وإنْ جاءتْ «ألف» الاستفهام وليس قبلها شيء لم يكنْ من تحقيقها بدٌّ، وخفّفوا الثانية على لغتهم)[٥]؛ ويبدو أنّهم أرادوا الحفاظ على الوظيفة الدلالية للهمزة الأولى التي تؤدّي معنى الاستفهام.

ونطق همزة «بين بين» على نوعين، أحدهما («بين بين» المشهور)، وهو نطقها بين صوت الهمزة والصوت المتولّد من مدِّ حركتها، فإذا كانتْ محرّكة بالضمة فبين الهمزة والواو، وإذا كانتْ محرّكة بالكسرة فبين الهمزة والياء، وإذا كانتْ محرّكة بالفتحة فبين الهمزة والألف، والنوع الثاني («بين بين» البعيد)، وهو الصوت الذي بين الهمزة والصوت الناتج من مدِّ حركة ما قبلها[٦].

---

(١) ينظر: التذكرة، ابن غلبون: ١: ١١١.

(٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢٧ - ٢٢٩، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٦٣ - ٦٤.

(٣) الإمام اللغويّ النحْويُّ المجدِّد أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن مالك الطائي، صاحب التصنيفات الجليلة، ومنها «شرح التسهيل»، (ت: ٦٧٢هـ)، ينظر: البلغة، الفيروزآبادي: ٢٦٩، وبغية الوعاة، السيوطي: ١: ١١٩.

(٤) شرح الكافية الشافية، ابن مالك: ٢: ٣٧٤.

(٥) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٨.

(٦) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٣٠ - ٣٥.

وهناك قولان مهمّان لـ«سيبويه» في مسألة تسهيل الهمزتين يصلان في ظاهرهما إلى حد التناقض، فالأول قوله: (فليس من كلام العرب أنْ تلتقي همزتان فتُحقّقا)[١]، والثاني قوله: (وأمّا الذين لا يخفّفون الهمزة، فيحققونهما جميعًا، ولا يدخلون بينهما ألفا)[٢].

وقد أشكل هذان النصَّان على (د. سمير شريف أستيتية)[٣]، والذي يبدو أنّ «سيبويه» قصد في النص الأول التقاء الهمزتين في لفظ واحد، مثل: (أأْدم، وجائئ)، فإنّهما تصبحان (آدم، وجائي)، وقصد في النص الثاني التقاء الهمزة في كلمتين، مثل: (أأنتَ، وأأعجمي)[٤]، ودليلي في ذلك نصٌّ لـ«سيبويه» نفسه، إذ قال: (واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بدٌّ من بدل الآخرة، ولا تُخفّف؛ لأنّهما إذا كانتا في حرف واحد لزم التقاءُ الهمزتين الحرف، وإذا كانت الهمزتان في كلمتين فإنّ كل واحدة منهما قد تجري في الكلام، ولا تلزق بهمزتها همزة، فلمّا كانتا لا تفارقان الكلمة كانتا أثقل، فأبدلوا من إحداهما، ولم يجعلوهما في الاسم الواحد والكلمة الواحدة بمنزلتهما في كلمتين)[٥]، ولذا بيّن العلماء أنّ التقاء الهمزتين في لفظ واحد أثقل وأصعب من التقائهما في لفظين؛ لأنّهما في اللفظين (ليستا بملازمتين، وقيام كل كلمة بنفسها غير ملتصقة بالأخرى، فلذلك لا تلتقي الهمزتان في كلمة، وقد تلتقيان في كلمتين)[٦].

ولتسهيل التقاء الهمزتين على وفق همزة «بين بين» في الاستعمال اللغويّ هناك أوجه ثلاثة، فمنهم مَنْ يحققهما ويحشر بينهما ألفًا، ومنهم مَنْ يُحقّق الأولى ويجعل الثانية همزة «بين بين»، ومنهم مَنْ يُخفّف الأولى ويحقّق الثانية[٧]، ومن المعلوم أنّ ضابط وصف همزة «بين بين» هو المشافهة[٨] – كما ذكرتُ آنفا -، على أنّه قد تلتقي الهمزتان من غير استثقال أو صعوبة كما أسلفنا، وذلك إذا كانتا «عينًا» مضعّفةً، نحو: (سَأّال)[٩].

---

(١) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٧.

(٢) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٨.

(٣) ينظر: القراءات القرآنية، د. سمير شريف أستيتية: ٢٧.

(٤) ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤: ٢٨٥ - ٢٨٩، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢١ - ٢٢٩.

(٥) الكتاب، سيبويه: ٢: ١٦٨ - ١٦٩.

(٦) شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢٦.

(٧) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢٦ - ٢٢٧، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: ٣: ٦٤ - ٦٥.

(٨) ينظر: شرح المفصّل، ابن يعيش: ٩: ٢١٢.

(٩) ينظر: الخصائص، ابن جني: ١: ١٧٩ - ١٨٠، ٣: ١٤٣، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٩: ٢٢٦.

أمّا المُحْدثون فدرسوا ظاهرة همزة «بين بين» منطلقين من أسسهم الصوتية، إذ أشكل عندهم توالي صائتين في السلسلة الكلامية لهمزة «بين بين» ويكشف التحليل المقطعي لنا ذلك:

ففي وضع حرف «ألف» بين الهمزتين يكون التشكيل الصوتي:

(أَأَأَقْررتُمْ) - /ء ـَـ ـًـ -ء ـَ ق - ر ـَ ر-ت ـُـ م/

فتوالى صائتان (/ـَـ ـًـ/)، وهذا غير مقبول في النظام المقطعي للأصوات، ولحل هذا الإشكال قالوا: (والحق أنّه من الناحية الصوتية لم يتم إدخال «ألف»، ولكنْ فتحة الهمزة الأولى أُطيلتْ حتّى أصبحتْ ألفًا)[١]، فتكون السلسلة المقطعية الصوتية على وفق ما يأتي:

(أأَأَقْررتُمْ) - /ء ـًـ -ء ـَ ق - ر ـَ ر-ت ـُـ م/

أمّا بالنطق بهمزة «بين بين» فتسقط الهمزة الثانية، ويكون التشكل الصوتي:

(أَأَقْررتُمْ) - /ء ـَـ-ء ـَـ ق-ر ـَ ر-ت ـُـ م/

فبالنطق بهمزة «بين بين» تسقط الهمزة الثانية، وعلى وفق ما يأتي:

(أَأَقْررتُمْ) - /ء ـَـ ـَـَـ ق-ر ـَ ر-ت ـُـ م/

ونجد هنا قد التقى صائتان هما (/ـَـ ـَـَـ/)، وهذا لا يصح في المفهوم الصوتي الحديث؛ لأنّه لا يمكن توالي صائتين من غير قمّة بينهما، فيرى بعض المُحْدثين أنّ تماثلًا حدث، فقال: (ووجه المماثلة هنا يظهر في حذف الصامت، وهو همزة القطع الثانية من أجل إحداث تماثل بين المقطعين الأول والثاني، فيكون التجاور بينهما ذا حدٍّ صائتي لا صامتي)[٢]، وعليه يكون التشكيل الصوتي:

(أَأَقْررتُمْ) - /ء ـَـَـ ق-ر ـَ ر-ت ـُـ م/

لكنّ هذه النتيجة لا تحل لنا الإشكال النطقي الذي وصفه القدماء لهمزة «بين بين»؛ لأنّ الذي ظهر توالي صائتين، ويرى أيضًا «د. عبد الصبور شاهين»: (أنّ «بين بين» هذا لا تعني وجود همزة إطلاقا، وإنّما تتابع حركتين يكونان في الحقيقة نوعًا من المزدوج خفيف الانزلاق، من عنصره الأول إلى عنصره الثاني، ولا شيء أكثر من هذا)[٣]، والإشكال يبقى قائمًا، فالصائت الجديد لا يكون قاعدة، ولا هو يمثّل الوصف الذي وصفتْ به همزة «بين بين» عند القدماء.

---

(١) القراءات القرآنية، د. سمير شريف أستيتية: ٢٧.

(٢) القراءات القرآنية، د. سمير شريف أستيتية: ٢٨.

(٣) القراءات القرآنية، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٣، ويُنظر أيضًا نفسه: ١٠٥ - ١٠٧.

ولذا استعان المُحْدثون بدراساتهم المختبرية التي أوضحتْ لهم أنّ الهمزة هي انغلاق تام للغشاءين الصوتيين في الحنجرة، ثم انفتاح مفاجئ؛ ليخرج صوت شديد أو انفجاري هو الهمزة، وليس هناك تنوّع في مثل هذه الحال، فهو إمّا انفتاح أو انغلاق، ومن غير انغلاق تام لا تكون همزة[١]، وعليه ذهب «د. إبراهيم أنيس» إلى أنّ (من القرّاء مَنْ يجعلون تلك الحركة التي خلفتها الهمزة بعد سقوطها من النطق حركة مهموسة، فتسمع حينئذٍ كما لو أنّها نوع من الهاء، ففي قراءة قوله تعالى: {أَأَعْجَمِيٌّ}[٢] قراءة «بين بين» للهمزة الثانية، تسمع العبارة كأنّما هي «أهعجمي»)[٣].

وقد وافق «د. حسام النعيمي» رأيَ «د. إبراهيم أنيس» في أنّ الهمزة تكون نوعًا من «الهاء»، مستفيدًا من قراءة أفضل القرّاء المعاصرين لقوله تعالى: {أَأَعْجَمِيٌّ} بتسهيل الهمزة الثانية على وفق همزة (بين بين)، فينطقها بما يشبه «الهاء»[٤]، ولذا يرى «د. حسام النعيمي» أنّ القول: إنَّ الهمزة هاءٌ طبيعية أو نوع من الهاء الخفيفة يحل لنا مشكلة توالي الصائتين من غير قمّة بينهما الذي لا يقرّه الدرس الصوتي الحديث[٥]، وتفسّر «د. مي الجبوري» ظهور صوت «الهاء» بقولها: (لعلّ هذا حدثَ لوقوع هذه الهمزة المخفّفة بين همزة محقّقة قبلها و«عين» بعدها، ومعلوم أنَّ الهاء بين الهمزة والعين في تسلسل المخارج، فبالانتقال بين انغلاق غشائي الحنجرة إلى صوت همزة «بين بين» إلى مخرج العين قد يظهر صوت الهاء، ولاسيّما أنّ التخفيف هنا يكون بين الهمزة والألف؛ لأنَّ الهمزة مفتوحة، وهي في الموضع نفسه، وتتطلب انفتاحًا في مجرى الهواء)[٦].

إنّ الذي يبدو لي أنّ قول المُحْدثين بظهور أحد أصوات «الهاء»، وليس «الهاء» المعروفة له وجهٌ استعماليٌّ مقبول في التبدلات الصوتية بين (الهمزة والهاء) سواء في العربية الفصحى أم في اللغات الجزرية «الساميات»[٧]؛ لكنّه يُمكن أنْ يُقال: إنَّ القدامى لو كانوا سمعوا «الهاء» أو نوعًا من أنواعه؛ لما توانوا عن التصريح بذلك، وهم لم يذكروا ذلك، وإنّما ذكروا همزة «بين بين»، وفسّروا هذه البينية كما أسلفنا، فقالوا: (وأمّا جعلها «بين بين»، أي: بين الهمزة والحرف الذي

(١) ينظر: القراءات القرآنية، د. مي الجبوري: ٦٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) الأصوات اللغويّة، د. إبراهيم أنيس: ٧٣ - ٧٤.

(٤) ينظر: فقه اللغة العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. حسام النعيمي: ١٢١، والقراءات القرآنية، د. مي الجبوري: ٦٦.

(٥) ينظر: فقه اللغة العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. حسام النعيمي: ١٢٠ – ١٢١.

(٦) القراءات القرآنية، د. مي الجبوري: ٦٦.

(٧) ينظر: في علم الأصوات المقارن، د. آمنة صالح الزعبي: ١٧ -ـ ٢٠.

منه حركتها، فإذا كانتْ مفتوحة تجعلها بين الهمزة والألف، وإذا كانتْ مضمومة فهي بين الهمزة والواو، وإذا كانتْ مكسورة فهي بين الياء والهمزة ...؛ لأنّ همزة «بين بين» همزة في النيّة)[١]، ولم يذكروا «الهاء» في ضمن تفسيراتهم، فالأمر يدور عندهم بين أحرف المد والهمزة المنويّة، ولذا رفض «د. عبد الصبور شاهين» أنْ تكون هاءً، فقال (ليس من الصواب أنْ يُقال: هذه همزة مسهّلة، أو هذه همزة «بين بين»، أو هذه همزة مقلوبة هاء؛ إذ لا وجود للهمزة في الواقع في هذه الحالات، حيث إنّ وضع الحنجرة قد تغيّر إلى وضع آخر غير وضع الهمزة)[٢]، بل إنّ عدم إدراك كنه هذه الهمزة ليس سببه أداء العرب، وإنّما سببه المُحْدثون أنفسهم؛ لأنّ حال همزة «بين بين» كحال الإشمام، فهل إذا ما استعطنا تجسيده نُنكره، وعليه كيف يُحل هذا الإشكال؟، ولهذا أحسن «د. حسام النعيمي» بوضعه رمز همزة «بين بين» علامة استفهام (؟) تتحرّك بحسب وضعها، ففيها دلالة من طرف خفي على أنّ أمر ضبط هذه التخفيف غير واضح[٣].

أقول: الذي يبدو لي أنّ همزة «بين بين» ربّما هي نوعٌ من الهمزة المُشْربة بحركتها، مثلما يحدث في الإشمام، فهمزة «بين بين» المشربة بحركتها حرفان، هما همزة محرّكة وهمزة مشربة بحركتها، ويكون رسم هذه الهمزة هو همزة بحسب نوع الحركة التي تُشرب بها، فإذا كانتْ فتحة رسمنا الهمزة ووضعنا فوقها نقطتين صغيرتين أفقيتين، وإذا كانتْ ضمّة رسمنا الهمزة ووضعنا فوقها ثلاث نقاط صغيرة على شكل مثلث، وإذا كانتْ كسرة رسمنا الهمزة ووضعنا تحتها نقطتين صغيرتين أفقيتين، وعليه يُحل لنا الإشكال في كون هذه الهمزة المشربة بحركتها التي هي نوع من أنواع الهمزة المخفّفة، وليستْ من أنواع «الهاء» ستكون قاعدة وقمّتها الصائت المشرب بحركته، وبهذا نقرب من وصف القدامى لهمزة «بين بين» من غير ذكر لحرف «الهاء» الذي لم يذكره القدامى، ولا استشعروه، ونحل إشكال تلاقي صائتين من غير قمّة بينهما بحسب قواعد المُحْدثين في النظام المقطعي الصوتي، والله تعالى أعلم.

---

(١) القراءات القرآنية، د. مي الجبوري: ٦٦.

(٢) أثر القراءات في الأصوات، د. عبد الصبور شاهين: ١٦٨.

(٣) ينظر: فقه اللغة العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. حسام النعيمي: ١١٨، هامش (٢).

الخاتمة والنتائج

بعد أنْ وصل البحث إلى ما لا بد منه، وهو خاتمته - سائلين الله تعالى حسن الخاتمة في القول العمل - أدوّن أهم ما تمخّض عنه، وعلى وفق ما يأتي:

١. الخلاف في الدرس الصوتي بين القدامى والمُحْدثين يتمثّل في أسس أربعة معيّنة انطلق منها المُحْدثون، وأولها: عد أحرف المد حركات طويلة «صوائت طويلة»، وثانيها: لا يوجد قبل حرف المد حركة «صائت قصير» من جنسه، وثالثها: السلسلة الكلامية تحلّل على وفق نظام المقاطع الصوتية، ورابعها: اكتشاف الوترين الصوتيين، وهذا الخلاف الجوهري أدّى إلى صياغة هيكلية جديدة لكل المظاهر الصوتية سواء على مستوى التحليل الصوتي أم التحليل الصرفي، لكنّ النتائج في كثير من الأحيان متطابقة، فإنّما الاختلاف كان في وسائل التحليل، وهذا يدل على صحة منهج المتقدّمين ودقّته.

٢. لم أقف على تعريف للغويين خاص للهمز اصطلاحًا بحسب ما اطلعتُ عليه، وربّما كان سبب ذلك أنّ الهمز أداء صوتي معناه (الضغط والنبر)، وهو يعم جميع الحروف، ثم خُصص في التنظير العلمي العربي بالهمزة، ولذا اكتفوا بتعريف تحقيق الهمزة.

٣. همزة «بين بين» ظاهرة صوتية شواهدها مطّردة، وهي من الحروف الملحقة بالمستحسنة، وقد أصابها التطوّر فاختفتْ شيئًا فشيئًا من الاستعمال الفصيح، ولم تبق إلّا في القراءات القرآنية، وكذلك اختفتْ من الاستعمال المعاصر سواء الفصيح أم اللهجة الدّارجة.

٤. اقترح البحث تمثيل صوت همزة «بين بين» ورسمها بأنْ يكون تمثيلها صوتيا بهمزة مشربة بحركتها، وأمّا رسمها فبحسب نوع حركتها، فإذا كانتْ فتحة رسمنا الهمزة ووضعنا فوقها نقطتين صغيرتين أفقيتين، وإذا كانتْ ضمة رسمنا الهمزة ووضعنا فوقها ثلاث نقاط صغيرة على شكل مثلث، وإذا كانتْ كسرة رسمنا الهمزة ووضعنا تحتها نقطتين صغيرتين أفقيتين.

٥. اختلف اللغويون والقُرّاء في اجتماع الهمزتين إذا كان أولهما همزة استفهام في نحو لفظ: (أأعجمي)، فالقُرّاء يجعلونهما من باب اجتماع الهمزتين في لفظ واحد، واللغويون يجعلونهما من باب اجتماع الهمزتين في لفظين.

٦. إنّ اشتقاق لفظ (نبي) من الأصل اللغوي (ن، ب، أ) حصرًا، وقد أصابه التخفيف بدليل أنّ فيه قراءات بالتحقيق (نبيء)، ومَنْ يرى أنّه من الأصل اللغوي (ن، ب، ا) بمعنى الارتفاع فقد

جانب الصواب.

٧. أشكل على المُحْدثين الأداء الصوتي لهمزة «بين بين»، حتى اضطربوا في ذلك، فمنهم مَنْ يرى أنها من أنواع الـ«هاء»، مع العلم أنّ الدرس القديم وصفها وبيّنها، وذكر أنّها تُضبط بالمشافهة، ولم يذكروا «الهاء» في ذلك، وعليه كان الخلل عند المُحْدثين هو في عدم معرفة كنهها؛ لأنّ حال همزة «بين بين» كحال الإشمام الصوتي أو الصرفي أو النحوي، فهل إذا ما استطعنا تجسيده نُنكره.

٨. أشكل على بعض المُحْدثين فهم نصّين لـ«سيبويه» في تحقيق الهمزتين وتخفيفهما، حتى ادّعوا التضارب فيهما، والصحيح أنّ «سيبويه» وصف اجتماع الهمزتين مرة في اللفظ الواحد، وفي مرة أخرى وصف اجتماعهما في اللفظين.

٩. نفى المُحْدثون ظاهرة إبدال أحرف المد بالهمزة؛ لعدم التماثل الصوتي بينهما، ولذا هم لا يقولون بالإبدال، وإنّما يرون أنّ الهمزة أُسْقطتْ وأعيد التشكيل الصوتي.

هذه أهم نتائج البحث، وهناك أشياء أخرى منثورة في أثناء البحث، سائلًا الله تعالى المغفرة من الزلل وحسن الختام، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

١. أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ - ١٩٩٨م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تح: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة - ١٤٢٦هـ.

٣. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مطبعة المدني، مصر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤. ارتشاف الضّرَب من لسان العرب، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، تح: د. رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥. أصوات العربيّة بين التحول والثبات، د. حسام سعيد النعيمي، سلسلة بيت الحكمة (٤)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، (بلا. ط. ت).

٦. الأصوات اللغويّة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤ - ١٩٧١م.

٧. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، (ت: ٣٣٨هـ)، تح: د. محمد أحمد قاسم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ - ٢٠٠٤م.

٨. الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٩. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧ ـ ٢٠٠٧م.

١٠. الأعلام والمواقع في القرآن الكريم، د. أيوب درباس موسى الكلي، جمهورية العراق، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٣٦)، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١. إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، (ت: ٦٤٦هـ)، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٢. إيجاز التعريف في علم التصريف، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، (ت: ٦٧٢هـ)، تح: د. حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، المملكة العربية السعودية، ومؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، أبو حفص سراج الدين عمر بن قاسم النشار، (ت: ٩٢٧هـ)، تح: أحمد عيسى المعصراوي، إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٤. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ) تح: محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، طبعة منقحة وموسَّعة، حسّان أحمد راتب المصري، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٥. بغية الوعاة في طبقات اللُّغويّين والنُّحاة، جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٦. التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تح: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١ – ٢٠٠٥م.

١٧. تحفة البررة في قراءة الثلاثة المتمّمين للعشرة، الشيخ محمد بن مصطفى خوجه التونسي المعروف بـ(قاره بطاق)، (ت: ١١٩٧هـ)، تح: د. الهادي روشو، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٨. التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون الحلبي، (ت: ٣٩٩هـ)، تح: د. أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٩. الحجة للقرّاء السبعة، أبو علي الفارسي، (ت: ٣٧٧هـ)، تح: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٠. الخصائص، ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٢١. دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها، د. عمر علي حسان عرفات، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

٢٢. شرح الألفيّة، الحسن بن قاسم المُرادي، (ت: ٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، دار

مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٣. شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الإستراباذي، (ت: ٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن وصاحبيه، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا. ط)، ١٣٩٥ه - ١٩٧٥م.

٢٤. شرح الكافية الشافية، جمال الدين محمد بن عبد الله المعروف بـ»ابن مالك»، (ت: ٦٢٧هـ)، تح: د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٢٥. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن السيرافي، (ت: ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٦. شرح المفصّل، ابن يعيش، (ت: ٦٤٦هـ)، تح: أ.د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ ـــ ٢٠١٣م.

٢٧. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، أبو الحسين أحمد بن فارس، (ت: ٣٩٢هـ)، تح: السيد أحمد الصقر، مكتبة ومطبعة دار إحياء التراث العربي، (لا. ط. ت).

٢٨. صحيح مسلم، المسمّى: المسند الصحيح المختصر لنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (r)، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجّاج النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا ط. ت).

٢٩. الصحيح في فضائل القرآن وسوره وآياته، د. فاروق حمادة، دار القلم للطباعة النشر، دمشق، ط١ – ٢٠٠٨م.

٣٠. ضوابط الفكر النحوي دراسة تحليليَّة للأسس الكُلِّيَّة التي بنى عليها النحاة آراءهم، د. محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر، القاهرة - ٢٠٠٦م.

٣١. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، (ت: ٣٧٩هـ)، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٣٢. الظواهر اللغويّة في قراءة الحسن البصري، د. صاحب أبو جناح، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ط١، ١٤٠٥ه - ١٩٨٥م.

٣٣. غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية، الإمام أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد، المعروف بـ(ابن الجزري)، (ت: ٨٣٣هـ)، تح: أبو إبراهيم عمرو بن عبد الله، دار اللؤلؤة للنشر والطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٣٤. فقه اللغة العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. حسام النعيمي، رئاسة جامعة

الفلوجة، مركز التعليم المستمر (٧) مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٣٥. في علم الأصوات المقارن التغير التأريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، د. آمنة صالح الزعبي، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن - ٢٠٠٨م.

٣٦. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م.

٣٧. القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، د. مي فاضل الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ - ٢٠٠٠م.

٣٨. القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، د. سمير شريف إستيتية، عالم الكتب الحديث، الأردن، أربد - ٢٠٠٥م.

٣٩. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، مصر - ١٩٦٦م.

٤٠. قصص الأنبياء، ابن كثير، (ت: ٧٧٤هـ)، اختصره بالصحيح منه الشيخ محمد زينو، دار المؤسسة الجديدة، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤١. قضايا الخلاف الصوتي في ضوء علم اللغة المقارن، د. السيد محمد منازع علي، دار الآفاق العربية، مصر، ط١ - ٢٠١٥م.

٤٢. الكتاب، سيبويه، (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.

٤٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها، مكي بن أبي طالب، (ت: ٤٣٧هـ)، تح: محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق - ١٩٧٤م.

٤٤. الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، (ت: ٧٤٠هـ)، تح: د. خالد أحمد المشهداني، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٥. ما ينصرف وما لا ينصرف، أبو إسحاق الزجاج، (ت: ٣١١هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، الشركة الدولية للطباعة، ط٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٦. المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، (ت: ٣٨١هـ)، تح: سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٤٧. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت: ٣٩٢)، تح: علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي،

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٨. المصباح المنير في غريب شرح الكبير، الفيومي (ت: نحو٧٧٠هـ)، اعتنى به: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٤٩. معاني القُرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، (ت: ٢١٥هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٥٠. مقاييس اللغة، ابن فارس، (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (لا. ط. ت).

٥١. المقتضب، أبو العباس محمّد بن يزيد المبرِّد، (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٥٢. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (بلا. ط).

٥٣. الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمّد القرطبي، (ت: ٤٦١هـ)، تح: د. غانم قدوري الحمد، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، الكويت - ١٩٩٠م.

٥٤. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تح: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٥. النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، تح: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، المدينة المنورة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٥٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٧. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.